التلميذ الناشئ والشيخ الحكيم

الأخ عصام العطار

لو صلَح حكّامنا لصلَح مَن دونَهم

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :

– لقد عمَّ بلادنَا الفسادُ ، وكثرتِ الاختلاساتُ –كما تروي الصحفُ باستمرار– وأصبحتِ الرشوةُ أمراً عاديّاً يجري به التعامل ، ولا يثيرُ أيَّ استغرابٍ أو استنكارٍ جدِّيّ .. ونحن ننحدرُ من سيّءٍ إلى أسوأَ كلَّ يوم

قال الشيخُ الحكيم :

– إنّ هذا كلَّه في واقعنا الراهنِ أمرٌ طبيعيّ .. لقد فسدَ الرأسُ ففسدَ الجسدُ والأطراف .. ولو صلَح حكّامُنا أو المتحكِّمونَ فينا لصلحَ مَنْ دونَهم بالأُسْوَةِ الحسنة ، وبالرغبةِ أو الرهبةِ عندَ اللزوم ..

« لَمَّا أُتِيَ عمرُ بنُ الخطّاب ﷺ بِتَاجِ كِسْرى وسِوارَيْه ، قال :

إنّ الذي أدَّى هذا لأمين !

قال له رجل :

يا أميرَ المؤمنين ، أنتَ أمينُ اللهِ يُؤَدُّونَ إليكَ ما أدّيتَ إلى الله تعالى ، فإذا رَتَعْتَ رَتَعُوا »

« واطَّلَعَ بعضُ الأمراءِ في بعضِ العُهود على ضَيْعَةٍ له بالغوطةِ فأنكَر منها شيئاً ، فقال لوكيله :

ويْحَك ! إنّي لأظنُّك تخونُني

قال :

أَفَتَظُنُّ ذلك ولا تَسْتَيْقِنُه ؟!

قال : وتَفْعَلُه ؟!

قال :

نعم ، واللهِ إنّي لأخونُك ، وإنّك لتخونُ أميرَ المؤمنين ، وإنّ أميرَ المؤمنينَ لَيخونُ الله ، فلعنَ اللّهُ شرَّ الثلاثة »

خذوا بكل جوانب الإسلام
وأقيموا الحدود بلا تفريق

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :
– لماذا يريدُ بعضُهم الأخذَ ببعضِ الحدودِ دونَ بقيّةِ جوانبِ الإسلام ؟!

قال الشيخُ الحكيم مازحا :
– لأنّهم يريدونَ حِمايةَ اللصوصِ الكبارِ من اللصوصِ الصغار !

قال التلميذُ الناشئ :
– فهل تقولُ بتعطيلِ الحدود ؟!

قال الشيخُ الحكيم :
– معاذَ اللهِ يا بُنَيّ ! فما يقولُ بذلك مسلمٌ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر ، ويحرصُ على مصلحةِ المجتمعِ الذي يعيشُ فيه .. ولكنّني أقولُ بالأخْذِ بسائرِ جوانبِ الإسلام ، فالإسلامُ دينٌ شاملٌ متكاملٌ لا ينفصلُ منه جزءٌ عن جزء ، وبأنْ تُقامَ الحدودُ على الفقراءِ والأثرياء ، وعلى الضعفاءِ والأقوياء ، وعلى الرعيّةِ والأمراءِ على حدٍّ سَواء .. فالرسولُ ﷺ يقول :

«إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدّ. وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» رواه البخاري

هل يَذِلُّ المؤمنُ للطاغوت ؟!

قال التلميذُ الناشئُ لشيخهِ الحكيم :
– هل يَذِلُّ المؤمنُ للطاغوت ، ويستسلمُ له كما نَرى هذه الأيّام ؟!

قال الشيخُ الحكيمُ وهو يَمْلأُ فمَه ويَمُدُّ صوتَهُ بالكلام :
– لا ..

لـــــيسَ لِلـــــذُّلِّ حِيلَـــــةٌ في نُفـــــوسٍ يَـــــسْتَوي المـــــوتُ عنـــــدَها والبَقَـــــاءُ

فكيفَ إذا كانتْ هذه النفوسُ تُؤْثِرُ الموتَ في سبيلِ الله ، على العبوديّةِ لغيرِ الله ، وعلى الرّضى أو الحياةِ بغيرِ شريعةِ الله ، وترى الشهادةَ -إن كُتِبَتِ الشهادةُ- إحْدى الْحسْنَيَيْن

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة : ٥١]

هدية إلى حكام المسلمين

هذه كلمات مضيئة وصلتنا عَبْرَ القرون من عصر من أزهر عصور التاريخ .. كتبها الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى

ونحن لا ننشر هذه الكلمات هنا كمجرد تراث ثقافي أو تاريخي ، ولكننا نتوجه بها من جديد إلى كل ملك من الملوك ، وكل رئيس من الرؤساء ، وكل حاكم من الحكام .. هديَّةً خالصة إليهم ، لعلها تنفُذ إلى قلوبهم ، ويكون لهم بها تذكرة تنفعهم وتنفع بهم ، وتفتح لهم إن شاء الله أبواب النجاة والصلاح والإصلاح .. أو تكون معذرة منا إلى الله ، وحجة عليهم في الدنيا وفي الآخرة

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين : ٦]

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩]

﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩]

كتب عُمر بن عبد العزيز ﷺ لَمَّا وَلِي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البَصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله : (اعلم يا أمير المؤمنين ، أن الله جعل الإمام العادل قوَامَ كلّ مائل ، وقَصْدَ كل جائر ، وصَلاَحَ كل فاسد ، وقُوَّة كل ضعيف ، ونَصَفَة كلّ مظلوم ، ومَفْزَعَ كلّ مَلْهوف ، والإمامُ العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشَّفيق على إبله ، الرفيق بها ، الذي يرتاد لها أطيبَ المراعي ، ويذُودها عن مراتع الهلكة ، ويَحْميها من السباع ، ويكنُّها من أذى الحَرِّ والقُرّ . والإمام العَدْل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يَسعى لهم صِغاراً، ويُعَلِّمُهم كباراً ؛ يكتسب لهم في حياته ، ويدّخر لهم بعد مماته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأُمِّ الشفيقة البرَّة الرفيقة بولدها ، حملته كُرْهاً ، ووضعته كُرْهاً ، وربَّته طِفلاً تسهر بسَهَره ، وتَسْكُن بسُكونه ، تُرضعه تارة وتَفْطِمه

أخرى ، وتَفْرح بعافيته ، وتغتم بشكايته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين وَصِيُّ اليتامى ، وخازِن المساكين ، يربِّي صغيرهم ، ويَمُون كبيرَهم . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقَلْب بين الجوارح ، تَصْلُح الجوارح بصلاحه ، وتَفْسُد بفساده . والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يَسْمع كلام الله ويُسْمعهم ، وينظُر إلى الله ويُريهم ، وينقاد إلى الله ويقُودهم . فلا تكُن يا أمير المؤمنين فيما ملَّكك الله عزَّ وجلَّ كَعَبْد ائتمنه سيّدُه ، واستحفظه مالَه وعيالَه ، فبدد المال وشرَّد العيال ، فأفقر أهلَه وفرَّق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أنَّ الله أنزل الْحُدود ليزجُرَ بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها مَنْ يَلِيها ! وأنَّ الله أنزل القِصاصَ حياةً لعباده فكيف إذا قتلهم مَن يَقْتصّ لهم ! واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده ، وقِلَّة أشياعك عنده ، وأنصارِك عليه فتزوَّدْ له بعده من الفَزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أنّ لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطُول فيه ثواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يسلمونك في قعره فريداً وحيدا . فتزوَّد له ما يَصْحبك

﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** ﴾ [عبس : ٣٤-٣٦]

واذكر يا أمير المؤمنين ﴿ ... **إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ** ﴾ [العاديات : ٩-١٠] ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرة إلاّ أحْصاها . فالآن يا أمير المؤمنين وأن في مَهَل قبل حُلول الأجل ، وانقطاع الأمل . لا تحكمْ يا أمير المؤمنين في عباد الله بحُكم الجاهلين ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ، ولا تُسلِّط الْمُسْتكبرين على الْمُسْتَضْعَفِين ؛ فإنهم لا يَرْقُبون في مؤْمن إلاًّ ولا ذِمَّة فتَبُوءَ بأوْزَارك وأوزار مع أوزارك ، وتَحْمِل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك . ولا يغُرَّنَّك الذين يَتَنَعَّمون بما فيه بؤسُك ، ويأكلون الطَّيبات في دُنْياهم بإذهاب طَيِّباتك في آخرتك . ولا تنظُر إلى قُدْرتك اليومَ ، ولكن انظُر إلى قدرتك غداً وأنت مَأسُور في حَبائل الموت ، ومَوْقوف بين يَدي الله في مَجمَع من الملائكة والنبيِّين والْمُرْسَلين ، وقد عَنَتِ الوجوه لِلحيِّ القَيُّوم .

إني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلُغ بِعظتي ما بَلَغَه أولو النُّهَى من قَبْلي ، فلم آلُك شفقةً ونُصْحاً ، فأنْزِل كتابي إليك كمُداوِي حَبيبه يَسْقيه الأدوية الكريهة لما يرجُو له في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته